

## السيرة الذاتية تبحث عن شخصيات استثنائية وتمجّد أبطالها الحقيقيين

الاحتواء الشامل والضملي للتفاصيل الأكثر ذاتية في مقابل المتغيرات المحيطة بالشخصيات، وهو ما شاهدها في أفلام مثل "ذئاب وول ستريت" لمارتن سكورسيزي و"لينكولن" لستيفن سبيلبيرغ و"غاندي" لريتشارد اتينبورج و"تتسابلن" للمخرج نفسه و"12 عاما من العبودية" لستيف مكوين و"الملكة الإسكتلندية ماري" لجوسبي روك و"أسرار رسمية" لغافن هوود وغيرها.

لذلك سيكون السؤال مرتبطا بأهمية الموازنة بين السيرة الذاتية والوقائع والخيال، في تكامل ثلاثي مبدع ومؤثر ترتكز عليه العملية السينمائية برمتها وهي تتصدى لهذا النوع من المصادر الفيلمية.

**العنصر المهم والإضافي المتحقق من أفلام السيرة الذاتية يجعلها محبة هو أنها تكشف أيضا عن الحقيقة التاريخية**

وتتسع تلك الدراما المرتبطة بالسيرة الذاتية إلى نوع من الملودراما في بعض الأحيان، وذلك بالاتكاء بشكل أساسي على السرد المرتبط ببطل السيرة/ التاريخ المروي، والذي يتطلب كالعادة إلاما أو إتقاننا المراحل التمهيدي ثم الصعود والسقوط المنتهي بموت الشخصية الرئيسية في بعض الأحيان أو نهاية رحلتها وترك النهاية الفيلمية مفتوحة في أحيان أخرى.

على أن العلاقة بين السيرة الذاتية وإطارها التاريخي لا يجب أن تحيل إلى الاعتقاد أن السيرة الذاتية هي نوع تاريخي-كروولوجي، ومن الطريف أن أحد النقاد يسخر من هذه المقاربة قائلا إن ربط السيرة الذاتية بالتاريخ بشكل وثيق مثل ربط قصر القصر بسيرته الذاتية.

بل إن هناك من يعتقد أن هذا النوع من السرد يشوه الواقع إلى حد كبير، لكنه بعيد إنتاج السيرة الذاتية الحقيقية ويعطي شكلا سرديا يتناسب مع لغة الشاشة ومتطلباتها.

وهذا لا بد من تأكيد تلك الإشكالية المترتبة على هذا النوع من الأفلام، فمن جهة هو مطالب بأن يقدم شكلا ومحتوى يتناسبان مع عملية الإنتاج السينمائي وأن يقترب العمل الفيلمي من الجمهور العريض، ولهذا سوف يتم التركيز على التمثيل وهل كانت الشخصية وافية للشخصية التي جسدها أم أنها كانت تمثل أو تؤدي دورا عن شخص آخر، وعلى هذا الأساس تراوح قبول هذا النوع الفيلمي والتفاعل معه صعودا وهبوطا.



السيرة الذاتية لها شروطها

في سينما السيرة الذاتية هناك بحث متواصل عما هو استثنائي من بين جميع قصص السيرة الذاتية للأفراد الاستثنائيين.

هنالك في عالم السرد السينمائي المكز لأبطال مذهبين ومعبزين اشتغال على شخصية محورية تقود الدراما بشكل تلقائي وتصنع حياة خاصة على الشاشات.

هنا سوف نتوقف عند هامش يضع كاتب سيناريو فيلم السيرة الذاتية أمام هامش الروايات وما تم نقله عن الشخصيات من مواقف وآراء وتحولات وسلوكيات، فواقعا هنالك على الدوام ما يروى من زوايا مختلفة في ما يتعلق بالسيرة الذاتية.

ليس مستغربا تعدد التجارب السينمائية المرتبطة بالسيرة الذاتية للشخصية الواحدة، إذ تتم في كل مرة إعادة تقديمها بصورة مختلفة، إما سدا للثغرات أو لوجود إضافات ضرورية أو في إطار الاتقاد على أن للجمهور العريض ولعا خاصا بأفلام السيرة الذاتية، ولهذا سوف نتشكل قناعة مفادها أنه مهما تعددت المراس التي تعكس السيرة الذاتية للشخصية فليسوف تبقى لها جانبيتها الخاصة.

في الأربعينات من القرن الماضي مثلاً تم إنتاج أفلام عن السيرة الذاتية للرسام الهولندي رامبرانت وعن سيرة إبراهيم لينكولن وعن سيرة بسامارك وكورسكوف وجان دارك وموزارت وكريستوف كولومبوس وبيتهوفن وبافلوف وغيرهم، ثم مالبثت السينما أن عدت مرة أخرى إلى هذه الأسماء وغيرها لتعيد تقديمها إلى الشاشات.

ولعلها ظاهرة ملفتة للنظر عملية الاهتمام بالسيرة الذاتية للعديد من الشخصيات وبضعاف عدد الشخصيات التي يجري تقديم سيرها إلى الشاشات في السنوات الأخيرة.

بالطبع يرتبط ذلك بالتفاوت في المصادر السينمائية من سيناريوهات مكتوبة خصيصا للشاشة أو روايات وكريستوف كولومبوس وبيتهوفن وبافلوف وغيرهم، ثم مالبثت السينما أن عدت مرة أخرى إلى هذه الأسماء وغيرها لتعيد تقديمها إلى الشاشات.

في مشهد حبس الأنفاس عند محاولة عبور الشاحنة جسرا خطيرا حيث ينتهي الأمر بفاجمة مقتل غورتي الذي يشكل موته صدمة قاتلة بالنسبة إلى مايك في مقابل النجاح في إيصال المعدات التي سوف تنقذ المحتجزين في المنجم.

في مسارات السيرة الذاتية هناك بحث متواصل عما هو استثنائي من بين جميع قصص السيرة الذاتية للأفراد الاستثنائيين. هنالك في عالم السرد السينمائي المكز لأبطال مذهبين ومعبزين اشتغال على شخصية محورية تقود الدراما بشكل تلقائي وتصنع حياة خاصة على الشاشات. هنا سوف نتوقف عند هامش يضع كاتب سيناريو فيلم السيرة الذاتية أمام هامش الروايات وما تم نقله عن الشخصيات من مواقف وآراء وتحولات وسلوكيات، فواقعا هنالك على الدوام ما يروى من زوايا مختلفة في ما يتعلق بالسيرة الذاتية. ليس مستغربا تعدد التجارب السينمائية المرتبطة بالسيرة الذاتية للشخصية الواحدة، إذ تتم في كل مرة إعادة تقديمها بصورة مختلفة، إما سدا للثغرات أو لوجود إضافات ضرورية أو في إطار الاتقاد على أن للجمهور العريض ولعا خاصا بأفلام السيرة الذاتية، ولهذا سوف نتشكل قناعة مفادها أنه مهما تعددت المراس التي تعكس السيرة الذاتية للشخصية فليسوف تبقى لها جانبيتها الخاصة. في الأربعينات من القرن الماضي مثلاً تم إنتاج أفلام عن السيرة الذاتية للرسام الهولندي رامبرانت وعن سيرة إبراهيم لينكولن وعن سيرة بسامارك وكورسكوف وجان دارك وموزارت وكريستوف كولومبوس وبيتهوفن وبافلوف وغيرهم، ثم مالبثت السينما أن عدت مرة أخرى إلى هذه الأسماء وغيرها لتعيد تقديمها إلى الشاشات. ولعلها ظاهرة ملفتة للنظر عملية الاهتمام بالسيرة الذاتية للعديد من الشخصيات وبضعاف عدد الشخصيات التي يجري تقديم سيرها إلى الشاشات في السنوات الأخيرة. بالطبع يرتبط ذلك بالتفاوت في المصادر السينمائية من سيناريوهات مكتوبة خصيصا للشاشة أو روايات وكريستوف كولومبوس وبيتهوفن وبافلوف وغيرهم، ثم مالبثت السينما أن عدت مرة أخرى إلى هذه الأسماء وغيرها لتعيد تقديمها إلى الشاشات. وبالطبع يرتبط ذلك بالتفاوت في المصادر السينمائية من سيناريوهات مكتوبة خصيصا للشاشة أو روايات وكريستوف كولومبوس وبيتهوفن وبافلوف وغيرهم، ثم مالبثت السينما أن عدت مرة أخرى إلى هذه الأسماء وغيرها لتعيد تقديمها إلى الشاشات.

السيرة الذاتية لها شروطها



سلسلة أحداث وصراعات تقطع الأنفاس

## فيلم «طريق الجليد» رحلة إنقاذ مثيرة بنهايات صادمة

المؤامرة من أصحاب المال لا توقف رحلة منقذي عمال المناجم



السيرة الذاتية لها جانبيتها الخاصة.

**المخرج ينقلنا إلى مسارين سرديين موازين فيهما الكثير من قوة الدراما التي تدفع حبكة الفيلم إلى الأمام**

الخيانة تكمن في شخص فاراني وهو ما يتسبب في شبه هلاكها في حادثة انقلاب الشاحنة، ثم الموقف الإنساني المؤثر والمرير في حادثة سقوط الشقيق غورتي في قاع البحيرة المتجمدة والمحاولة المستميتة من مايك لإنقاذ شقيقه في اللحظة الأخيرة، وهنا سوف نتوقف عند كيفية رسم ملامح شخصية غورتي من خلال الحوار المكتضب في مقابل الحضور الإنساني المؤثر.

ولننص في تلك المغامرة إلى نهايتها في مشهد حبس الأنفاس عند محاولة عبور الشاحنة جسرا خطيرا حيث ينتهي الأمر بفاجمة مقتل غورتي الذي يشكل موته صدمة قاتلة بالنسبة إلى مايك في مقابل النجاح في إيصال المعدات التي سوف تنقذ المحتجزين في المنجم.

## مخرجون يكشفون الواقع بالمغامرة والدهشة

في مسارات السيرة الذاتية هناك بحث متواصل عما هو استثنائي من بين جميع قصص السيرة الذاتية للأفراد الاستثنائيين.

في مسارات السيرة الذاتية هناك بحث متواصل عما هو استثنائي من بين جميع قصص السيرة الذاتية للأفراد الاستثنائيين.

في مسارات السيرة الذاتية هناك بحث متواصل عما هو استثنائي من بين جميع قصص السيرة الذاتية للأفراد الاستثنائيين.

الوصول إلى انهيار المنجم وموت من فيه لجني أموال طائلة من التامين في مؤامرة غامضة أقدموا عليها بينما أوهموا السلطات بالكارثة وانهم جادون في إنقاذ أولئك العمال.

مواجهات مع الموت

أما إذا انتقلنا إلى رتل الشاحنات الثلاث الضخمة التي يقودها مايك وشقيقه من جهة وتانتو وماتمر من الشركة بالإضافة إلى غولدينور (الممثل لورنس فيشيون) من جهة أخرى، نجد أن هؤلاء يخوضون مغامرة كارثية هم أيضا، وذلك كونهم يسلكون مساراً نحو المنجم يمر من فوق بحيرة متجمدة، الأمر الذي يجعلهم جميعا عرضة للحظة التي ينهار فيها الجليد، وهو ما يقع فعليا عندما تسقط شاحنة غولدينور ويتشاهد الجميع تلك الشاحنة العالقة بالمياه المتجمدة تتلصق مع غولدينور نفسه.

الممثل فيشيون من الذين لديهم حضور مؤثر في السينما وله منجز مهم في العشرات من الأفلام، وكان ملفتا للنظر اقتضاره على ذلك الدور القصير الذي انتهى إلى مقتلته بينما أحداث الفيلم تتسع للمزيد مما يمكن أن يؤديه، لكن التحول الدرامي الذي انتهى بمقتله كتشف عن مسار درامي آخر يتعلق بالمستفيد من ذلك، وهو ما سوف يتضح لاحقا.

الحاصل أننا في هذه الدراما الفيلمية سوف نشهد المواجهة الفعلية عندما تتمثل المؤامرة في أن هناك من هو مدسوس بين سائقي الناقلات الثلاث لا يريد أن يصلوا إلى هدفهم، وهي المواجهة الشرسة التي سوف تقع بين مايك وبين فاراني (الممثل بينجامين وكر) الذي أدى دورا مكملا لدور ليام نيسون وكان ندا قويا له في سلسلة أحداث وصراعات وقطع أنفاس مبررة.

خلال ذلك كنا نتوقف مثلا أمام الشك في خيانة الفتاة تانتو، ولكن الحقيقة أن

من أسباب نجاح الأفلام الجمع بين أكثر من نمط ونوع سينمائي، مثل المزج بين خصوصيات أفلام الحركة والأعمال الدرامية، حيث الدمج بينهما يخلق لنا عملا متكاملا مشوقا وغير مسرف في حماسة الحركة ولا في النفس الدرامي الذي يكشف عن أعماق الذات البشرية في سوتها وحسنها كما نرى في فيلم «طريق الجليد».

من محطات العمر وقد شارف على السبعين عاما من عمره، بعد مسيرة حافلة وغزيرة مع أفلام الحركة، ها هو يعود إلى ذلك النوع المفضل لدى المخرجين الذين يشاهدونه دون غيره في تلك الدراما.

في مقابل مايك هنالك شقيقه غورتي (الممثل ماركوس توماس)، وهو الحندي السابق في حرب العراق والمصاب بذلك المرض الذي يصيب العائدين من تلك الحرب المشؤومة والذي يسمى «متلازمة ما بعد الصدمة»، وهو وحده يستحق وقفة في علاقة مايك به وعطفه عليه، وهو الذي يمتلك مهارات استثنائية في ميكانيك السيارات فيما تفكك به متلازمة ما بعد الصدمة.

إذا كنا أمام تلك الإشكالية الإنسانية المؤثرة التي يمثلها الشقيقان ومحاولات مايك إدماح شقيقه المريض في الحياة ومنحه ثقة بالنفس هناك تانتو (الممثلة أمبير ميتهوندر) وهي الأخرى ضمن فريق مايك في قيادة إحدى الشاحنات وترتد بإنقاذ شقيقها الوحيد الذي هو من بين عمال المناجم المحتجزين.

ينقلنا المخرج إلى مسارين سرديين موازين فيهما الكثير من قوة الدراما التي تدفع حبكة هذا الفيلم إلى الأمام، المسار الأول يتمثل في عمال المنجم المحتجزين، والذين تستطيع من خلال حواراتهم أن تتبين أن واحدا منهم هو المتسبب في انهيار المنجم وهو الذي سوف يتسبب في نفاد الأوكسجين وانتشار غاز الميتان.

على أن خلفية كل ذلك والمسار السري الثاني يتمثلان في ثلثة من المنقذين الجشعين الذين يديرون المشروع فيما بينهم ولا يريدون إنقاذ العمال، بل

طاهر علوان  
كاتب عراقي

على مستوى واحد يمزج الشجن العاطفي بالحس الإنساني العميق والشعور بوطاة الأزمة ثم بالمؤامرة التي تكاد تقلب الموازين في دراما متشابكة يقدمها المخرج جونانان هينسليغ في فيلم «طريق الجليد» الذي يمكننا أن نتصفه ضمن أفلام الحركة والإثارة أو يمكنك أن تدرجه في إطار الدراما السينمائية والبطل المنقذ.

واقعا نحن أمام تحد يواجه عدا من الشخصيات وهو إنقاذ مجموعة من رجال المناجم المحتجزين في أحد المناجم الكندية المتجمدة، وخلال ذلك على أعضاء فريق مكون من ثلاث شاحنات أن يحملوا معهم معدات حفر قادرة على اختراق المنجم وإنجاز حفر عمودي ينتهي بإنقاذ أولئك العمال المحتجزين الذين يبدأ العد التنازلي لهلاكهم.

مساران سرديان

وسمهمة الإنقاذ هناك مسارات سردية موازية وشخصيات إشكالية بإمكانك أن تتوقف أمام كل منها في بناء جمالي وتعبيري متقن يتألق فيه كالعادة الممثل ليام نيسون بدور مايك، في ثاني فيلم حديث له من إنتاج هذا العام بعد فيلم «الرامي» الذي سبق أن ناقشناه في هذه الصفحة.

ولقنا من قبل إنها مرحلة في حياة هذا الممثل البارح وصل فيها إلى محطة

تنتشر في الكثير من المواقع ترشيحات متشابكة لأهمّ حسين أو ملة مخرج -أو أكثر- في تاريخ السينما العالمية، بعضهم، وربما أغلبهم، مدعومون بتجارب سينمائية كانت مدعومة بإنتاج سينمائي ضخم ومؤسسات إنتاجية رصينة، بينما البعض الآخر اكتفى بإمكانات أقل

وبالحفاظ على تقاليد السينما المستقلة وتكون الخطاب السينمائي سوف يحقق النجاح المأمول إذا حقق المغامرة والدهشة بالدرجة الأولى، بينما هناك معيار كم حقق الفيلم من إيرادات في شبك التذاكر.

تتنوع أعمال هؤلاء بين الإنتاج الضخم للأفلام الخيالية، كالصراعات الكونية وحرب النجوم والقصص الأسطورية وطابع الحركة والسرعة والمطاردة، وبين الأفلام الواقعية الأقرب إلى الذات الإنسانية والطبيعة البشرية والحياة اليومية والصراعات المألوفة والأقرب إلى المشاهد في يومياته وحتى من ناحية الاهتمامات الأكثر ذاتية، وهي تصطبغ بصبغة واقعية ولها امتداد حياتي.

ليس مستغربا مثلا أن اختيارات صانعي المغامرة والدهشة هؤلاء يختلط بهم المخرج سبايك لي، رئيس لجنة تحكيم مهرجان كان لهذا العام، والذي يواصل منجزه السينمائي ليصطف في قائمة صانعي الجمال مع الإيطالي روبرتو روسيليني المتوفى قبل 50 عاما أو مع مواطنه الراحل الشهير فيوتوريو دي سيكا بل ومع الروسي سيرغي ايزنشتاين المتوفى في العام 1948

وصولا إلى الياباني يازوجيرو أوزو ومواطنه كيروساوا ثم الإيراني الراحل عباس كياروستامي ثم هيتشكوك وجون فورد وبيلي وايلدر وأورسون ويلز وانتهاء بمارتن سكورسيزي وريديلي سكوت وفرانيس فورد كوبولا وغيرهم، والحاصل أن هذه الصورة

**الصورة البانورامية المتنوعة لأكثر المخرجين تأثيرا في تاريخ السينما تقدم لنا صورة ذلك التنوع في التجارب السينمائية**

قوة الإدهاش والإقبال على إثارة الأسئلة يتحدث عنها المخرج المجدد تيرنس مالِك في ذلك الثاني المدهش في إعادة مناقشة القضايا الإشكالية التي تمس الذات البشرية، وهي تتلقى ثقل الواقع المشتت المتنوع، وتسعى لإيجاد مسار لنفسها وسط فوضى الحياة. التجريبية المدهشة تبقى علامة فارقة